أي أول في رواية
« الخندق الغميق »
بقلم رئيف خوري

من الآثار الادبية ما يقدم نفسه بنفسه خير تقديم ، فلا يحتاج الى وسيط يقرب منه بعيدا ، او يشرح غامضا ، او ينوه بما يمتاز به من خصائص الفن .

ورواية « الخندق الغميق » للدكتور سهيل ادريس هي في الصميم من هذه الآثار التي يحسن الناقد صنعا اذا هو خلّى بينها وبين القاريء يمضي مع سطورها وصفحاتها ، فلا يفيق من استغراقه وذهوله الا وقد بلغ منها خاتمة المطاف . ذلك بان هذه الرواية ليست قصة حياة مع ما تستتبعه القصة ـ ولا بد ـ من الاحتيال الفني، وبالتالي التكلف ، وانما هي نفسها حياة بكل صدقها وطبعيتها ، وبكل لمساتها الانسانية ، الساذجة احيانا في حلاوة تمس الشغاف .

مؤلف رواية « الخندق الغميق » وبطلها الرئيسي ، كما تخيلهما الفنان الفرنسي « دامبرير » بعد قراءة الرواية ...

تحيا في هذا الخندق الغميق اسرة تضطرب حياتها بين جيلين اختلفا باختلاف السن والمزاج ، واختلفا في اكثر الاحيان باختلاف المفاهيم بين حقبتين اوشكت الحقبة الاخيرة منهما ان تخضع كل شيء لتطور عميق .

فهذا سامي ، الشيخ سامي ، ينطلق في اول الشوط من نقطة ترضي اباه ، ثم ينقلب الامر بينهما الى تباعد، فاذا الشيخ الصغير يضيق ذرعا بحياته في الجبة وبثقافة تقدم اليه على وجوه لا يسيغها لا المدرس ولا الدارس ، فينصرف الشيخ الى ورود مناهل الثقافة الغربية ، ويحب بنت الجيران ، ويشهد الافلام السينمائية ، ويستبدل الزي المشيخي ، وينكر على ابيه حقه في ان يتزوج زواجا اخر فيجمع بين امه وامرأة اخرى ، ثم لا يجد هذا « الشيخ » ضيرا في ان تسفر شقيقته ، وفي أن تلقى أحد الشبان لقاء لا يؤذي الحشمة ولا يخل بالحياء. بل هو يصر على ان تصيب شقيقته حظا من العلم العصري ولو اضطر الى بذل ما ادخره بشق النفس من دريهمات . وحين يعلم ان اللقاء بين شقيقته وهذا الشاب قد آل الى حب جدير بان يقرن بينهما في زواج ، ويؤلف بين حياتيهما ، يحس انه اسعد خلق الله .

ما اريد ان اعترض سبيل القاريء ، فاسوق اليه احداث هذه الرواية واقطع عليه متعته حين يعمد الى قراءتها . كلا ، ولا اريد أن اناقش من قد يزعمون انها رواية لا تثير خلافا جذريا في المفاهيم بين جيلين ، فهي اذا ليست برواية تحررية جذرية . وانما اريد ان يتناول القاريء هذه الرواية في بساطة على نحو البساطة التي حكى فيها الكاتب حكاية نفسه بهمومها ، وصور لنا تجربته ، فلعل القاريء خليق عندئذ بان يرى كيف يعبر التطور عن الاستعداد الجذري للتحرر بمظاهر جد بسيطة .

وليس الدكتور سهيل ادريس باول من حاول في الادب العربي الحديث مثل هذه المحاولة التي يصور فيها انتقالا اجتماعيا من خلال تجربته الخاصة او تجربة أسرة اتخذها له نموذجا . فالدكتور طه حسين قد حاول شيئا من ذلك في كتابه « الايام » ، لكنه لم يوفق الى مثل ما وفق اليه الدكتور ادريس في تصوير هذا الانتقال تصويرا قصصيا حافلا

بالحركة والحياة وباللمسات الانسانية .

يزاد على ذلك هذا الحب الدافيء الغامر الذي اشاعه الدكتور ادريس في روايته وأضفناه على أشخاصها . فكلهم حبيب اليك، الرجعي منهم والتقدمي. انك تحبهم جميعا على فضائلهم وعيوبهم ، حتى فوزي الذي يبرع في النفاق على ابيه ويسرق مال اخيه الشيخ سامي لينفق على ملذاته ، ثم يرد المال ساعة يتثاءب عليه ضميره .

وبعد هذا كله ، سيعجبك من رواية الدكتور ادريس انه بعيد فيها عن التطفل على اي اثر من الاثار الادبية التي اتيح لك أن تعرفها ، شرقية كانت او غربية . وهو ابعد ما يكون فيها عن التطفل على الحياة ، وهذا اهم !

رئيف خوري

الآداب

رئيف خوري

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان
او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات
في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣